الفصل الخامس

طرائق السحر وأنواعه

بينا في الفصل الماضي أنّ من السحر ماله حقيقة ووجود في الخارج، ومنه ما هو تخييل لا حقيقة له ولا وجود.

وهناك نوع آخر يسميه الناس سحراً وليس بسحر، وإنما هو حيل وخفة يد، وأرى أن يطلق على هذا النوع من السحر اسم السحر المجازي.

وعلى ذلك فيكون السحر ثلاثة أنواع:

الأول: السحر الحقيقي.

والثاني: سحر التخييل.

والثالث: السحر المجازي.

وسنعقد في هذا الفصل لكلّ واحد من هذه الثلاثة مبحثا خاصا به.

المبحث الأول

النوع الأول: وهو السحر الحقيقي وأنواعه

السحر الحقيقي هو السحر الذي له حقيقة في الخارج، وقد نقلنا عن ابن خلدون في الفصل السابق أنَّ له نوعين:

الأول: المؤثر بالهمة من غير آلة ولا معين، وهذا هو الذي تسميه الفلاسفة بالسحر.

والثاني: هو الذي يؤثر فيه الساحر في غيره بمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد، ويسمونه الطلسمات، وهو أضعف من الأول[1].

المطلب الأول:

السحر الذي يؤثر بهمة الساحر

النوع الأول الذي يؤثر فيه الساحر في غيره من غير استعانة بشيء آخر.

وهذا السحر علم خفي مبني على أقوال وأعمال مخصوصة تؤثر في الآخرين بقدرة الله إذا صدرت من الساحر، ويُقَرِّب هذا ما توصل إليه العلم الحديث في هذا العصر، فقد اكتشف العلم قوى خفية تستطيع أن تدمر وتهلك كالأشعة، وقد يتوصل العلم إلى أبعد من هذا، ومثل ذلك يقال في بعض الأشخاص الذين يملكون قوى خاصة يستطيعون أن يصرعوا بها الآخرين إذا تكلموا ببعض الكلمات، وهذا ما يسمى بالعين وقد مضى بيانه والقول فيه.

---

(١) المقدمة: ص ٩٢٦

والذين يسلكون هذا السبيل من السحر فئة من عباد الكواكب ـ كما يقول الشهرستاني ـ ومنهم البراهمة الذين يتسمون باسم «أصحاب الفكرة» والفكر عندهم هو المتوسط بين المحسوس والمعقول، فالصور المعقولات والمحسوسات ترد عليه، فهو مورد العلمين من العالمين.

ولهم في تحقيق هذا النوع من السحر مجاهدات واجتهادات، فإنهم يجتهدون كلَّ الجهد حتى يصرفوا الوهم والفكر عن المحسوسات بالرياضات البليغة، والاجتهادات المجهدة حتى إذا تجرد الفكر عن هذا العالم تجلى له ذلك العالم، فربما يُـخْبر عن مغيبات الأحوال، وربما يقوى على حبس الأمطار، وربما يوقع الوهم على رجل حي فيقتله في الحال.

ومن طريقتهم في هذا أن يغمض الساحر عينيه أياما لئلا يشتغل الفكر والوهم بالمحسوسات، وقد يتعاون طائفة منهم على تحقيق مرادهم، ولهذا ـ من عادتهم ـ إذا دهمهم أمر أن يجتمع أربعون رجلا من المهذبين المتفقين على رأي واحد في الإصابة، فيتجلى لهم ما يهمهم حمله، ويندفع عنهم البلاء الملم الذي يكادهم ثقله، ومنهم طائفة تسمى (البكرنتينية)، يعني المصفدين بالحديد، وسنتهم حلق الرؤوس واللحى، وتعرية الأجسام ما خلا العورة، وتصفيد البدن من أوساطهم إلى صدورهم لئلا تنشق بطونهم من كثرة العلم وشدة الوهم وغلبة الفكر[1]. ولا شك أن هذا الذي يفعلونه مما كادهم به الشيطان وأضلهم به.

وقد استدل القائلون بقدرة الساحر على التأثير في نفوس الآخرين وأجسادهم بأدلة كثيرة منها:

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني: ٢/٢٥٣ ـ ٢٥٤

١ ــ أنَّ النفوس الإنسانية لها تأثير على بدن صاحبها، فإنَّ النفس تفرح أو تحزن فيظهر الفرح والحزن على البدن، ويتمثل بالسخونة التي تصيب الجسد حال الغضب، والشحوب الذي يعلو الوجه حال الخوف.

ويذكر الرازي أنَّ بعض الملوك أصابه الفالج، وأعيا الأطباء علاجه، فدخل عليه بعض الحذاق منهم على حين غفلة، وشافهه بالشتم والقدح في العرض، فاشتدَّ غضب الملك، وقفز من مرقده قفزة اضطرارية، لما ناله من شدة ذلك الكلام، فزالت تلك العلة المهلكة.

٢ ــ وكذلك التصورات النفسية التي تعرض للنفس تؤثر في صاحبها، فالذي يمشي على خشبة ملقاة على وجه الأرض، أو يمشي على حائط قريب من الأرض لا يعاني في مساره شيئا، ولكنه إذا مشى على تلك الخشبة وقد نصبت فوق هاوية أو فوق نهر جار، أو سار فوق حائط مرتفع فإنه كثيرا ما يسقط، لأنَّ تخيل السقوط يوجب السقوط إذا قوي.

ولذلك فإنَّ الأطباء ينصحون المرعوف الذي يسيل الدم من أنفه بعدم النظر إلى الأشياء الحمر خشية أن يؤثر هذا على نفسه فيستمر رعافه، كما ينصحون المصروع بترك النظر إلى الأشياء الشديدة اللمعان، لأنَّ هذا يؤثر في نفسه فيتهادى به صرعه.

وأوضح من هذا أنَّ المرء يقذف ما في جوفه من طعام إذا أخبره مخبر أنَّ ما تناوله كان مخلوطا بالبول أو العذرة، وإن كان الطعام نقيا طاهرا، وأخبر بعض الأطباء أشخاصا أنَّ الشراب الذي شربوه يحتوي على مخدر، فغابوا عن وعيهم، مع أنَّ الخبر كان كاذبا، والشراب لم يكن إلا ماءً صافيا.

ووجه الاستدلال بهذه الأمثلة التي ذكرت أنَّ النفس الإنسانية إذا كانت تتأثر بالتصورات التي تعرض لها، ثمَّ تؤثر في البدن الذي تسكنه، حتى يسقطها

الوهم من شاهق، فإن تأثيرها في غيرها من غير الأسباب الجسمانية الطبيعية جائز، إذ نسبة النفس إلى الأبدان في ذلك النوع من التأثير واحدة، لأنها غير حالة في البدن، ولا منطبعة فيه، فثبت أنها مؤثرة في سائر الأجسام.

٣ ـ واستدلُّوا على أنَّ النفوس قد تؤثر في الآخرين بالإصابة بالعين، وقد صحَّ في الحديث (العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين) وليس كلُّ أحد يؤذي بالعين، والذين يؤذون بالعين ـ كما يقول القرافي ـ تختلف أحوالهم، فمنهم من يصيد بالعين الطير في الهواء ويقلع الشجر العظيم من الثرى، وآخر لا يصل بعينه إلى ذلك، بل التمريض اللطيف ونحو ذلك[1].

والحقُّ الذي ينبغي أن ننبه إليه أنَّ هذا الساحر لا يؤثر في الآخرين بهمته المجردة دون معونة من غيره، والذي يعينه على الفساد والإفساد الشيطان، والذي نعلمه من حال السحرة أنَّ نفوسهم تتحد مع نفوس الشياطين، فيحدث عند ذلك الفساد والإفساد، وسيأتي الحديث عن دور الشياطين في السحر في فصل مستقل إن شاء الله تعالى.

المطلب الثاني
في سحر الطلّسمات

وهذا النوع من السحر يتحقّق كما يزعم السحرة بالاستعانة بالنجوم، وهو الذي يسمى بالطلّسمات عند الفلاسفة، والفرق بينه وبين النوع الأول، أنَّ ذاك يتحقّق بهمة الساحر وإرادته من غير معين، وسحر الطلّسمات يستعين صاحبه «بروحانيات الكواكب، وأسرار الأعداد، وخواص الموجودات، وأوضاع الفلك

---

(١) راجع الفروق: ٤/١٤٦. المقدمة لابن خلدون: ص ٩٣٢.

المؤثرة في عالم العناصر، كما يقوله المنجمون. ويقولون: السحر اتحاد روح بروح، والطلّسم اتحاد روح بجسم، ومعناه عندهم ربط الطبائع العلوية السماوية بالطبائع الفلسفية، والطبائع العلوية روحانيات الكواكب، ولذلك يستعين صاحبه في غالب الأمر بالنجابة»[1].

وقد دقّق القرافي في تعريف الطلّسمات فقال: «الطلّسمات نفس أسماء خاصة لها تعلق بالأفلاك والكواكب على زعم أهل هذا العلم في أجسام من المعادن أو غيرها، تحدث لها آثار خاصة ربطت بها في مجاري العادات، فلابدَّ في الطلّسم من هذه الثلاثة: الأسماء المخصوصة، وتعلقها ببعض أجزاء الفلك، وجعلها في جسم من الأجسام، ولابدَّ مع ذلك من قوة نفس صالحة لهذه الأعمال فليس كلُّ نفس مجبولة على ذلك»[2].

«ومعنى الطلّسم ـ كما يقول حاجي خليفة ـ عقد لا ينحل، وقيل مقلوب اسمه، أي المسلط، لأنه من القهر والتسلط، وهو علم باحث عن كيفية تركيب القوى السماوية الفعالة مع القوى الأرضية المنفعلة في الأزمنة المناسبة للفعل والتأثير المقصود مع بخورات مقويّة جالبة لروحانية الطلّسم ليظهر من تلك الأمور في عالم الكون والفساد أفعال غريبة، وهو قريب المأخذ بالنسبة للسحر، لكون مباديه وأسبابه معلومة، وأما منفعته فظاهرة، لكن طرق تحصيله شديدة العناء.

وقد بسط المجريطي قواعد هذا الفن في كتابه: (غاية الحكيم). لكنه اختار جانب الإغلاق والدقة لفرط ضنته وكمال بخله في تعليمه. وللعلامة السكاكي كتاب جليل فيه»[3].

---

(١) مقدمة ابن خلدون: ص ٩٣٢.
(٢) الفروق للقرافي: ٤/١٤٢.
(٣) كشف الظنون: ٢/١١١٤.

وسمّى بعض الباحثين السحر الذي يستعين فيه الساحر بالكواكب بالهيمياء بكسر الهاء على وزن كبرياء» وهو ما تركب من خواص سماوية تضاف لأحوال الأفلاك، يحصل لمن عمل له شيء من ذلك أمور معلومة عند السحرة، وقد يبقى له إدراك، وقد يُسْلَبه بالكلية، فتصير أحواله كأحوال النائم من غير فرق، حتى يتخيل مرور السنين الكثيرة في الزمن اليسير، وحدوث الأولاد وانقضاء الأعمار وغير ذلك في ساعة ونحوها من الزمن اليسير، ومن لم يعمل له ذلك لا يجد شيئا مما ذكر، وهذا تخييل لا حقيقة له[1].

وهذا النوع من السحر هو سحر الكلدانيين والكسدانيين كما يقول الفخر الرازي الذين كانوا يسكنون على شاطىء الفرات في العراق، وهم يزعمون أنَّ الكواكب هي المدبرة لهذا العالم، ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوس، وقد بعث الله إليهم خليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ مبطلا لمقالتهم، وداحضا لشركهم[2].

والصواب من القول أنَّ هذا الذي نسميه بالطلَّسم هو من عمل الشيطان وفعله، وليس للكواكب فيه فعل، ونسبتهم هذه الأمور إلى الكواكب إنما هو لإخفاء ضلالهم وكفرهم، وتدجيلا على الناس، وقد تنبه إلى هذا محمد محمد جعفر فقال:

«الطلَّسم: هو العمل الذي يقوم به الساحر بمساعدة الشيطان أو بناء على أمره على الورق أو القماش أو المعدن أو الخشب أو الأحجار الكريمة أو المعجون (كالشمع والطين) بشكل مخصوص في وقت مخصوص وبحجم وصورة معينة لضرر نفر أو أكثر في شخصه أو ما يملكه..

---

(١) أضواء البيان: ٤/٤٩٠. الفروق للقرافي: ٤/١٣٨.
(٢) قصة السحر: ص ٢٥.

والتعويذة أو التميمة: هي العمل الذي يقوم به أي شخص مختص غير الساحر على المواد السابق ذكرها لمنع تأثير السحر أو فساده لحاملها أو لأغراض أخرى يقصد بها منفعة حاملها أو صاحبها دون غيره»[1].

وقد أطال محمد محمد جعفر في الكلام على الطلاسم وطريقة صنعها وآثارها فقال:

«وتختلف الطلاسم كثيرا باختلاف الزمن الذي يتم فيه صنعها ومادتها وغرضها. فالطلّسم الذي يصنعه الساحر لإصابة شخص معين بمرض معين لا ينفع لشخص آخر يرد إصابته بنفس المرض.

ويحوي الطلّسم كلمات ورسوماً ونقوشاً ورموزاً مكتوبة أو محفورة أو بارزة ملونة وغير ملونة، وكلُّها في غاية الصعوبة والدقة ويستحيل على الشخص العادي فهمها أو حلها، ولذا أطلق لفظة (طلّسم) على الكتابة الرديئة وغيرها التي يحتار المرء في معرفتها.

وصنع الطلاسم لا يقدر عليه إلا كلُّ ساحر عاتي شاخ وداخ في مهنته لما يتطلبه من معرفة تامة بالشياطين ودراية عميقة بالبذور والأعشاب والمعادن ودراسة الكواكب وغيرها من العوامل الكثيرة التي يتطلبها عمل الساحر.

ومن الطلاسم ما يستمرُّ مفعوله بضعة أيام ثم يفسد إلا إذا تكرر. ومنها ما يمكث بضعة شهور أو سنوات. ومنها ما يستمرُّ لأجلٍ طويل، وهذا يندر جدا.. ولذلك كان من السهل جدا علاج هذه الطلاسم بما يناسبها من التعاويذ والتمائم.. ومن الطلاسم ما يحمله الإنسان. ومنها ما يعلق في مهب الأرياح، أو يدفن في جوف الأرض أو القبور المهجورة، أو يلقى في مياه الأنهار والبحار، أو

---

(١) السحر: ص ٢١٥.

في بئر. ومنها ما يحرق، ومنها ما لا تمسّه النيران بتاتاً، وإذا مسته يفسد... ولكن لا يوجد طلسم يؤكل أو يشرب.

ويستغرق صنع الطلّسم وقتا طويلا من الساحر حسب أهميته وغرضه، ولابد له قبل البدء في عمله من الاستعداد التام له من تحضير المواد والبخور والمعلومات اللازمة عن الشخص الذي سيعمله ضده وتهييج وإثارة الشياطين الخاصة، ورسم الدوائر السحرية ورموزها ونقوشها بجانب ما يتلوه من عبارات شيطانية ويرتدي ملابس خاصة»[1].

تأثير الطلاسم

ويذكر ابن حزم أنَّ من أنواع الطلاسم التي شاهدها طابعاً منقوشاً فيه صورة العقرب في وقت كون القمر في العقرب، فينفع إمساكه من لدغة العقرب.

ويقول ابن حزم: «لا يمكن دفع الطلّسمات، لأننا قد شاهدنا أنفسنا آثارها ظاهرة إلى الآن من قرى لا تدخلها جرادة، ولا يقع فيه برد، و(كسرقسطه) التي لا يدخلها جيش إلا أن يدخل كرها، وغير ذلك كثير جدا لا ينكره إلا معاند»[2].

ويذكر محمد محمد جعفر أنَّ المؤرخ (جريجوري) أخبر أنَّ الفرنسيين عندما كانوا يفتحون إحدى الأراضي لإقامة جسر عليها عثروا على طلاسم معدنية لم يهتموا بأمرها وكانت تحمل رسوم الفيران والأفاعي والنيران وغيرها من الحشرات، وقد أهمل العمال هذه الطلاسم فقذفوا بها في النهر، ومن وقتها قاست باريس

(١) السحر: ص ٢١٥ - ٢١٦.
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٤/٢.

كثيرا من اندلاع النيران فيها، وكثرة الفيران وغيرها من الحشرات، وكانت قبل العثور على هذه التعويذات في أمان منها.

ويذكر العالم (جاك جافاريل) أمين مكتبة (ريشيليو) أنه عندما فتح السلطان محمد الثاني مدينة القسطنطينية عثر جنوده على تمثال في هيئة حية كبيرة فاغرة فاها مصنوعة من البرونز، فهدم الجنود التمثال الذي كان مصنوعا لإبعاد الأفاعي عن المدينة، ومن الوقت الذي كسر فيه التمثال تكاثرت الزواحف بالمدينة ومازالت بها للآن[1].

وكل هذا الذي ذكروه بعيد عن الصواب، وهو من الخرافات التي جازت على أصحاب العقول، فأنّى لطلّسم أن يمنع الحرائق عن مدينة كبيرة، وأنى لتمثال أفعى أن يمنع الأفاعي عن دخول مدينة واسعة كاستنبول، ولكنها الفرية تصدقها العقول من غير تمحيص.

المدة التي يستمر فيها أثر السحر والطلسم

أكثر السحر يمحى أثره ويزول بعد عدة أيام أو عدة شهور أو عدة سنوات.

ولكنّ بعض السحر يبقى مدداً طويلة، وقد وُجِد أنّ كثيرا من الذين ينبشون قبور الفراعنة يصابون بأنواع من المصائب، فمكتشف قبر «توت عنخ آمون» «اللورد كانارافون» توفي قبل تمام كشف المقبرة بعد أن حلت به متاعب عائلية وخسائر مالية كبيرة أودت بحياته.

---

(١) السحر: ص ٢٢٨.

والمكتشف الآخر لهذا القبر وهو المستر «كارتر» نجا من الموت بأعجوبة يوم اكتشاف المقبرة بالذات.. فقد كان يعتز بعصفور من نوع «الكناريا» يحتفظ به في قفص بديع بمكتبه أو منزله قرب المقبرة.. وفي يوم اكتشافها التهمت أفعى كبيرة من نوع الكوبرا هذا العصفور وتربصت للمستر كارتر لتنهي أجله، ولكن المستر كارتر لم يقصد مكتبه بعد الكشف، بل عاد إلى القاهرة ليذيع النبأ وكلّف بعض أتباعه بنقل أمتعته إليها.

ويوجد الآن في المتحف البريطاني تحت رقم (٢٢٥٤٢) تابوت داخلي دقيق الصنع لمومياء مصرية كانت إحدى أفراد العائلة المالكة ومن عداد الكاهنات. وقصة هذا التابوت كما دونتها سجلات المتحف البريطاني تثير العجب، وتدلُّ على نبوغ المصريين في أعمال السحر التي يبقى مفعولها وأثرها هذه المدة من آلاف السنين... فقد اشترى من مصر هذا التابوت المستر «دوجلاس مواري» لنقله إلى منزله بلندن، وقد وقع لهذا الشخص ولكلِّ من اتصل بهذا التابوت فواجع ومصائب حتى تخلصوا منه بهديته إلى المتحف البريطاني.

ففي يوم شراء التابوت وبينما كان المستر «دوجلاس» ينظف مسدسه انطلقت منه رصاصة أصابته في فخذه الأيسر الأمر الذي استدعى إجراء عملية جراحية له أودت بحياته أثناء عملها.

وكان قبل إجراء العملية أوصى أحد رفاقه الذين اصطحبوه لزيارة مصر ـ ويدعى المستر «هوبلي» ـ أوصاه بأنه في حالة حدوث أي حادث له أثناء العملية فعلى المستر «هوبلي» المذكور أن يسلم التابوت إلى شقيقته الكائنة بشارع «بيكر» بلندن...، واستعدَّ المستر «هوبلي» لتنفيذ وصية صديقه، فحمل التابوت إلى بور سعيد تمهيدا لنقله بالباخرة إلى لندن..، ولكن عند وصوله إلى بورسعيد وجد برقية من لندن في انتظاره تخطره بموت شقيقه مقتولا. وعندما وصل إلى لندن

وقبل أن يسلم التابوت لشقيقة المستر «دوجلاس» وقع أحد أنجاله ولم يبلغ الرابعة من عمره من نافذة المنزل ودقَّ عنقه.

وعندما استلمت شقيقة دوجلاس هذا التابوت وضعته في إحدى أركان الصالة، ومن اللحظة التي حلَّ فيها بالمنزل توالت المصائب، فيوم استلامها للتابوت ماتت طفلتها أثناء عبورها الطريق، وهي في طريقها للمدرسة أثر اصطدام سيارة بها..، وبعد أسبوع توفي زوجها منتحرا على وفاة ابنته، وساءت أمورها المالية، فانزعجت وفقدت أعصابها، واستدعت المنجمين والوسطاء ومحضري الأرواح الذين أجمعوا على أنَّ وجود هذا التابوت بمنزلها سيتسبب عنه مصائب متتالية لا يمكن منعها، فارتعدت فرائضها واتصلت بالمتحف البريطاني لنقله إليه هدية منها.

وأثناء حمل التابوت لوضعه في المكان المخصص له بالمتحف تهكم أحد الحمالين، وهزأ بعقلية مواطنيه الإنكليز الذين يعتقدون في خرافة الفراعنة ومخلفاتهم البالية التي يخصصون لها متحفا خاصا ليعمل فيه أبناء بلدتهم كالخدم..، وما إن استقرَّ التابوت مكانه حتى أصيب هذا الحمال بآلام حادة جعلته يتلوى بضع دقائق، ثم سقط ميتا بجوار التابوت.

واهتم جميع المشتغلين بالآثار المصرية بإنجلترا بأمر هذا التابوت وشكلوا لجنة للبحث في مشكلته، وكلفت هذه اللجنة بدورها شركة «هـ. أ. مانسل» للتصوير الفوتوغرافي بالتقاط جملة صور لهذا التابوت من زوايا مختلفة، وأرسلت الشركة مندوبها لالتقاط الصور المطلوبة وأنجز مهمته، وعاد إلى الشركة ليجد مأمورية أخرى في انتظاره، فذهب إليها وعند عودته إلى الشركة أصيب في حادث بترت على أثره أصابع يده اليمنى، وأصبح عاجزاً عن التصوير.

وعندما طبعت صور التابوت وجد منقوشا على أحد جانبيه صورة آنسة أو شابة صغيرة السن بملابس الكهنة وقد علت ملامحها أمارات الغضب والشر، وبسؤال كلٍّ من رأى هذا التابوت أو اتصل به قبل تصويره أقرَّ الجميع بأنهم لم يشاهدوا بتاتاً أية صورة من أي نوع على أي جزء فيه[1]..

التمثال الياباني المسحور

هذه القصة رواها الكاتب البريطاني «س. جـ. لامبرتس» في كتاب أصدره عن رحلاته..

قال «لامبرتس» إنه وزوجته كانا يزوران مدينة «كوبي» باليابان خلال جولة بحرية عالمية قاما بها، ولفت نظرهما في محل للعاديات تمثال صغير من العاج «لإله الحظ الياباني «هو ـ تي» [2]، وهو على شكل رجل بدين باسم نصف عار يجلس على وسادة، أعجبت الزوجة ماري بالتمثال وقررت شراءه، وزاد سرورهما عندما وجدا ثمنه رخيصا رغم أنه مصنوع من العاج، بدت الصفقة لهما أشبه بضربة حظ غير متوقعة، فاشتريا التمثال، وفي قمرتهما بالسفينة التي يبحران عليها أخذا يتفحصانه جيدا.. كان في لون القشدة الناصعة دلالة على أنه من العاج القديم النقي، ومنحوتا نحتا رائعا، ليس به عيب سوى ثقب صغير في أسفله، ويبدو أن التمثال صنع من قاعدة سن فيل وهذا الثقب عبارة عن مكان العصب الذي كان يربط السن، لذا فقد حشاه الصانع بعجينة مختلفة من العاج.

وضعت «ماري لامبرتس» التمثال في إحدى حقائبها، وأبحرت السفينة إلى الفلبين، وفي اليوم التالي بدأت السيدة لامبرتس تعاني ألما حادا في أسنانها،

---

(١) السحر لمحمد محمد جعفر: ١٧ ـ ١٨.

(٢) قاتل الله العقول التي تؤمن بأن هذا التمثال يمكن أن يكون إلها.

أعطاها طبيب السفينة بعض المسكنات ولكنها لم تفد، وقضى الزوجان الرحلة التي استغرقت ١٢ يوما في حالة من البؤس الشديد بسبب الآلام التي لا تطاق. وفي مانيلا، وقبل أن تتمكن السيدة من زيارة الطبيب أصيب الزوجان بحمى شديدة من أبرز مظاهرها أوجاع في كل مفاصل الجسم، وعندما مثلت السيدة في النهاية بين يد طبيب الأسنان أخطأ الطبيب ومس بمعضّه عصب أحد أسنانها فازدادت ألما بدلا من أن تشفى.

وفي المرحلة التالية من الرحلة حيث كانت السفينة في طريقها إلى استراليا، انتقل التمثال على نحو ما إلى حقائب السيد «لامبرتس»، وفي اليوم التالي بدأ يعاني ألما ممضا في أسنانه، وعندما استشار الطبيب في ميناء كيرنس بأستراليا أكد له الطبيب أن جميع أسنانه في حالة سليمة، وكان الألم قد توقف فعلا أثناء زيارته للطبيب، ثم عاد بشدة فور وصوله إلى قمرته في السفينة، وبعد يومين استشار طبيبا آخر، وتكرر نفس الشيء، وفي زيارة ثالثة أصر «لامبرتس» على أن ينزع الجراح أسنانه الواحدة بعد الأخرى إلى أن يتوقف الألم، وتوقف الألم بالفعل بعد نزع السن الأولى، ولكنه ارتد أشد مما كان عندما عاد لامبرتس إلى السفينة.

وفي «سيدني» ترك الزوجان حقائبهما في مخزن الجمرك، فتوقف ألم الأسنان، ولكن في الرحلة إلى نيوزيلندا عادت الحقائب إلى قمرتها وعادت معها آلام الأسنان، واستمرّ الحال على هذا المنوال طيلة الرحلة إلى «شيلي»، ثم إلى الولايات المتحدة، وفي «نيويورك» زار الزوجان أم الزوجة وهي سيدة أمريكية، وأعجبت بتمثال «هو ـ تي» إعجابا شديدا فأهدياه لها، وفي نفس اليوم بدأت أسنان الأم تؤلمها ـ وهي أسنان سليمة قوية ـ فتشاءمت الأم من التمثال، وأعادته إلى ابنتها وزوجها قائلة: «إن مقدمه سيء». ومع ذلك فإن الزوجين لامبرتس لم يربطا حتى الآن بين التمثال وألم الأسنان!.

ولكنهما شكا في هذه العلاقة لأول مرة وهما يعبران «الأطلنطي» في رحلتهما الأخيرة من الولايات المتحدة إلى بريطانيا، فقد استعارت منهما التمثال إحدى الراكبات لتريه لزوجها، وفي صباح اليوم التالي أبلغتهما وهي تعيد التمثال أنها أصيبت هي وزوجها في الليلة السابقة بآلام حادة في أسنانهما، وعندئذ بدأ الزوجان يدركان أنَّ الآلام كانت تهاجمهما كلما كان التمثال معهما، فإذا تخلصا منه توقفت الآلام، وأخذا يراجعان سجل هذه الأيام فازدادا تحققا من ذلك، وعندئذ أرادت الزوجة أن تلقي بالتمثال في البحر، ولكن الزوج أثناها عن ذلك، وأبقيا التمثال معهما حتى عادا إلى لندن.

وهناك أراه الزوج لتاجر تحف شرقية ياباني فعرض أن يشتريه على الفور، فقال «لامبرتس» إنه لا يستطيع أن يأخذ نقودا مقابل التمثال، بل كلّ ما يريده ويتمناه أن يبرأ هو وزوجته من آلام الأسنان الحادة، وحكى للتاجر كل ما كان من أمر التمثال معهما، وعندئذ نادى التاجر على أحد مساعديه فجاء من داخل المحل رجل ياباني عجوز يرتدي زيا تقليديا يابانيا، وأخذ الرجلان يفحصان التمثال بعناية، وفهم لامبرتس منهما أن «هو ـ تي» كان تمثالا من تماثيل المعابد في شرقي اليابان، وأن مثل هذه التماثيل يكون لها في بعض الأحيان «أرواح»، ثم وضع الياباني أعوادا من البخور وقام وهو في حالة من الخشوع الياباني الشديد بصرف لامبرتس إلى خارج المتجر[1].

تعليقنا على هذه الوقائع:

لا نستطيع أن نجزم بصدق هذه الوقائع، فقد تكون مختلقة، وقد يكون للخيال دور كبير في صياغتها، وقد يكون لها أصل لكن ليس على النحو الذي ذكروه.

---

(١) حقائق وغرائب: ص ١٧٩ ـ ١٨١. وإذا صدقت هذه القصة فإن لهذا التمثال شيطان يصاحبه يحدث هذا الأثر، وإلا فإن التمثال بنفسه قطعة جماد لا تنفع ولا تضر.

وعلى كلٍّ فإن كانت صحيحة، ووقعت كما رويت، فإن للشياطين دورا في هذا كله.

سحـر النجـوم

ذكرنا في المبحث الماضي أنَّ أصحاب الطلاسم يَدَّعون أنَّهم في صنع الطلاسم يستعينون بروحانيات الكواكب، وكنَّا تحدثنا في «تاريخ السحر» عن الذين يزعمون أنهم يحقِّقون السحر بواسطة النجوم، وهؤلاء هم عباد النجوم من المجوس والصابئة الذين يزعمون أنَّ النجوم مؤثرة في الإنسان والحيوان والأكوان، وهم أنواع:

١ ـ نوع يعبدون النجوم السبعة السيارة، ويعتقدون فيها النفع والضر، وقد بنى هؤلاء لهذه النجوم بيوتا، وصوَّروا فيها تماثيل سموها بأسماء النجوم، وجعلوا لها مناسك وشرائع يعبدونها بكيفياتها، ويلبسون لها لباسا خاصا وحلية خاصة، وينحرون لها من الأنعام أجناسا خاصة، لكلّ نجم منها جنس زعموا أنه يناسبه.

وكلُّ نجم جعلوا لعبادته أوقاتا مخصوصة كأوقات الصلوات عند المسلمين، واعتقدوا تصرفها في الكون. وهذا هو المعروف عن قوم إبراهيم (ببابل) وغيرها، وإياهم خاطب فيما حكى الله عنهم متحديا لهم، مبينا سخافة عقولهم وضلال قلوبهم، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ .....﴾[1].

---

(١) سورة الأنعام: ٧٥ ـ ٧٨.

٢ ــ ومنها ما يفعله من يكتب حروف أبي جاد ويجعل لكلّ حرف منها قدرا من العدد معلوما، ويجري على ذلك أسماء الآدميين والأزمنة والأمكنة وغيرها، ويجمع جمعا معروفا عنده، ويطرح منه طرحا خاصا، ويثبت إثباتا خاصا، وينسبه إلى الأبراج الأثنى عشر المعروفة عند أهل الحساب، ثم يحكم على تلك القواعد بالسعود والنحوس وغيرها مما يوحيه إليه الشيطان.

وكثير منهم يغير الاسم لأجل ذلك، ويفرق بين المرء وزوجه بذلك، ويعتقد أنهم إن جمعهم بيت لا يعيش أحدهم.

وقد يتحكم بذلك في الغيب فيدّعي أنّ هذا يولد له وهذا لا، وهذا الذكر وهذا الأنثى، وهذا يكون غنيا وهذا يكون فقيرا، وهذا يكون شريفا وهذا وضيعا، وهذا محببا وهذا مبغضا، كأنه هو الكاتب ذلك للجنين في بطن أمه، لا والله، لا يدريه الملك الذي يكتب ذلك حتى يسأل ربّه أذكر أم أنثى، شقي أم سعيد، ما الرزق وما الأجل؟ فيقول له فيكتب، وهذا الكاذب المفتري يدّعي علم ما استأثر الله بعلمه، ويدّعي أنه يدركه بصناعة اخترعها، وأكاذيب اختلقها، وهذا من أعظم الشرك في الربوبية، ومن صدقه به، واعتقده فيه كفر، والعياذ بالله.

٣ ــ ومنها النظر في حركات الأفلاك ودورانها وطلوعها وغروبها واقترانها وافتراقها معتقدين أنّ لكلّ نجم منها تأثيرات في كلّ حركاته منفردا، وله تأثيرات أخر عند اقترانه بغيره، في غلاء الأسعار ورخصها، وهبوب الرياح وسكونها، ووقوع الكوائن والحوادث، وقد ينسبون ذلك إليها مطلقا. ومن هذا القسم الاستقساء بالأنواء.

٤ ــ ومنها النظر في منازل القمر الثمانية والعشرين مع اعتقاد التأثيرات في اقتران القمر بكلٍّ منها ومفارقته، وأنّ في تلك سعودا أو نحوسا وتأليفا وتفريقا

وغير ذلك[1].

أقول: ومنازل القمر هي التي تسميها العرب الأنواء، وهي ثمانية وعشرون نجما معروفة المطالع في أزمنة السنة كلّها، يسقط في كلّ ثلاثة عشر ليلة منها نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته.

وكان أهل الجاهلية إذا كان عند ذلك مطر ينسبونه إلى الساقط الغارب منهما[2].

وقد أبان الحق ـ تبارك وتعالى ـ في كتابه أنّ الشمس والقمر والنجوم آيات من آيات الله سخّرها الله لمنفعة عباده، فهي مقهورة معبدة لخالقها، لا تستحقّ أن تعبد من دون الله، ولا تملك لنفسها ضرًّا ولا نفعا، فضلا عن أن تملكه لغيرها ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾[3] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾[4] ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾[5].

وقد أبان الحق أنه أوجد هذه النجوم ليهتدي العباد بها في ظلمات البر والبحر، وزينة للسماء، ورجوما للشياطين قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[6] وقال: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[7] وقال: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ

---

(١) معارج القبول: ١/٥٢٤.
(٢) راجع شرح النووي على مسلم: ٢/٦١.
(٣) سورة الأعراف: ٥٤.
(٤) سورة فصلت: ٣٧.
(٥) سورة الفرقان: ٦٦.
(٦) سورة الأنعام: ٩٧.
(٧) سورة النحل: ١٦.

مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾»[1].

قال قتادة رحمه الله تعالى: «إنما جعل الله سبحانه هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدي بها، وجعلها رجوما للشياطين. فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به.

وإنَّ ناسا جهلة بأمر الله قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة، من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والقصير والطويل والحسن والذميم، وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيء من الغيب، وقضى الله تعالى أنه ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾[2].

وهذا كلام جليل متين صحيح، وأصله في صحيح البخاري تعليقا. وقال أبو داود رحمه الله تعالى في كتاب الطبّ من سننه: «باب في النجوم» حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومسدد المعنى، قالا حدثنا يحيى بن عبيد الله بن الأخنس عن الوليد بن عبدالله عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول ﷺ: (من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد) وذكر حديث النوء.

وروى عبد بن حميد عن رجاء بن حَيْوة أنَّ النبي ﷺ قال: (إنما أخاف على أمتي التصديق بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وحيف الأئمة).

---

(١) سورة الصافات: ٦ - ١٠.

(٢) سورة النمل: ٦٥.

وروى ابن عساكر وحسنه عن أبي محجن مرفوعا (أخاف على أمتي ثلاثا: حيف الأئمة، وإيمانا بالنجوم، وتكذيبا بالقدر). وروى أبو يعلى وابن عدي عن أنس رضي الله عنه مرفوعا: (أخاف على أمتي بعدي خصلتين: تكذيبا بالقدر، وإيمانا بالنجوم)[1].

(١) معارج القبول: ٥٢٣ ـ ٥٢٦. وإن شئت الاطلاع على ضلال المنجمين وبيان هذا الضلال فارجع إلى مفتاح دار السعادة لابن القيم: ص ٢/١٢٥.

المبحث الثاني

النوع الثاني: وهو سحر التخييل

يوجد في الإنسان قوة تسمى القوة المتخيلة، وهذه القوى «هي التي تتصرف في الصور المحسوسة والمعاني الجزئية المنتزعة منها، وتصرفها فيها بالتركيب تارة والتفصيل أخرى، مثال إنسان ذي رأسين أو عديم الرأس، وهذه القوة إذا استعملها العقل المفكر سميت مفكرة، كما أنها إذا استعملها الوهم في المحسوسات مطلقا سميت متخيلة»[1].

والتخييل الذي يتحدَّث عنه الباحثون في السحر يتم بواحد من طريقين:

الأول: أن «يعمد الساحر إلى القوى المتخيِّلة، فيتصرف فيها بنوع من التصرف، ويلقي فيها أنواعا من الخيالات والمحاكاة وصورا مما يقصده من ذلك، ثمَّ ينزلها إلى الحسِّ من الرّائين بقوة نفسه المؤثرة فيه، فينظرها الرّاؤون كأنها في الخارج، وليس هناك شيء من ذلك، كما يحكى عن بعضهم أنه يُري البساتين والأنهار والقصور، وليس هناك شيء من ذلك، ويسمى هذا عند الفلاسفة الشَّعوذة والشَّعْبذة»[2].

وقد ذكر ابن بطوطة نماذج لهذا النوع من السحر، فمن ذلك أنَّ ضالا مبتدعا كان يحلق لحيته وحاجبيه أنكر عليه بعض أهل العلم حلقه لحيته، فما كان من هذا الضال إلا أن زعق زعقة، فإذا هو ذو لحية سوداء عظيمة، ثم

---

(١) التعريفات للجرجاني: ص ١٧٦.

(٢) المقدمة لابن خلدون: ص ٩٢٦.

زعق ثانيا فإذا هو ذو لحية بيضاء حسنة، ثم زعق ثالثا ورفع رأسه فإذا هو بلا لحية كهيئته الأولى[1].

وينقل لنا ابن بطوطة أيضا عن أوحد الدين السنجاري (أحد أهل العلم الذين كانوا ببلاد الصين) أنه دخل على رجل عابد في غار، فأخذ ذلك العابد بيده، فخيل لأوحد الدين أنه في قصر عظيم، وأنَّ ذلك العابد المبتدع قاعد فيه على سرير، وفوق رأسه تاج، وعن جانبيه الوصائف الحسان، والفواكه تتساقط في أنهار هناك، وتخيل أوحد الدين أنه أخذ تفاحة ليأكلها، فإذا هو في الغار بين يدي ذلك العابد الضال، وهو يضحك منه.

وقد شاهد ابن بطوطة ذلك العابد ورأى بعضا من عجائبه[2].

ويذكر أنه شاهد ببلاد الصين مشعوذا أخذ كرة من خشب لها ثقب، فيها سيور طوال، فرمى بها في الهواء، فارتفعت حتى غابت عن الأبصار، فلما لم يبق من السير في يده إلا يسيراً، أمر متعلما له، فتعلق وصعد في الهواء إلى أن غاب عن أبصارنا. فدعاه فلم يجبه ثلاثا، فأخذ سكينا بيده كالمغتاظ، وتعلق بالسير إلى أن غاب أيضا، ثم رمى بيد الصبي إلى الأرض، ثم رمى برجله، ثم بيده الأخرى، ثم برجله الأخرى، ثم بجسده، ثم برأسه، ثم هبط، وهو ينفخ، وثيابه ملطخة بالدم.

فقبل الأرض بين يدي الأمير، وكلمه بالصيني، وأمر له الأمير بشيء. «ثم إنه أخذ أعضاء الصبي، فألصق بعضها ببعض، وركضه برجله، فقام سوّيا. يقول ابن بطوطة: فعجبت منه، وأصابني خفقان القلب، فسقوني دواءً أذهب عني ما وجدت، وكان القاضي فخر الدين إلى جانبي، فقال لي: «والله ما كان

(١) رحلة ابن بطوطة: ١/٥٠.
(٢) رحلة ابن بطوطة: ٢/٧٢٥.

من صعود ولا نزول، ولا قطع عضو، وإنما شعوذة»[1].

ويذكر صديق حسن خان أنه رأى ساحرا عند بعض ملوك الهند أتى بولدين معه، ثم قطعهما عضوا عضوا، ثم رمى بكل عضو إلى جهة فرقا، حتى لم ير أحد شيئا من تلك الأعضاء، ثم صاح وبكى، فلم يشعر الحاضرون إلا وقد نزل كلُّ عضو على انفراده، وانضم إلى الآخر حتى قام كل واحد على عادته سوّيا[2].

ويذكر الباحثون المعاصرون أنَّ من أهم ما شغل (هتلر) ـ عندما اجتاحت جيوشه (بولندا) في الحرب العالمية الثانية ـ أن يعتقل رجلا (بولنديا) يدعى (وولف ميسينج)، ويأتي به إلى برلين حياً أو ميتاً. كان قد اشتهر عن هذا الرجل أنه يتمتع بقوى خارقة كوسيط روحي وعراف متنبىء، وكان قد تنبأ (لهتلر) قبل اجتياج بولندا بأنه سيخسر الحرب في النهاية، ويلقى نهاية سيئة. ولما كان (هتلر) من أشد المتطيرين الذين يؤمنون بالعرافة والتنجيم لذلك فقد أسرها في نفسه وعزم على الانتقام من (ميسينج) عندما يقع يوماً في قبضة يده.

واستطاع (مسينج) أن يهرب في آخر لحظة، ويلجأ إلى موسكو، ولكنه كان كالمستغيث من الرمضاء بالنار، إذ نجا من قبضة دكتاتور ليقع في قبضة دكتاتور آخر هو (ستالين) الرهيب هذه المرة.

فقد سمع الدكتاتور السوفيتي بحكايته، وقرر أن يختبر قواه (التليباثية) وحدَّد بنفسه الامتحان.. أن يستخدم (ميسينج) قواه المزعومة في سرقة بنك سوفيتي!

---

(١) رحلة ابن بطوطة: ٢/٧٣١.
(٢) الدين الخالص: ٣/٥٨١.

واختار (وولف ميسينج) بنكاً كبيراً في موسكو، لا يعرفه فيه أحد، وفي اليوم المحدد دخل (ميسينج) البنك بخطوات ثابتة، وتقدم إلى الصراف الذي يجلس خلف نافذته الزجاجية، وقدم إليه ورقة بيضاء منتزعة من دفتر مدرسي ووضع أمامه حقيبة فارغة مفتوحة، وأمره (تليباثياً) أن يصرف له مبلغ ١٠٠ ألف روبل. ونظر الصراف إلى الورقة وفحصها جيداً، لم يشك لحظة في أنها (شيك) صحيح.. ولم يلبث أن فتح خزانته وراح يخرج منها رزم (البنكنوت) ويضعها في الحقيبة، حتى عدّ ١٠٠ ألف روبل بالتمام والكمال.

وحمل (ميسينج) الحقيبة وخرج من البنك، وهناك اطلع رجال ستالين على النقود مثبتاً نجاحه في سرقة البنك...

وبعد ذلك عاد إلى الصراف مرة أخرى، وبدأ يعيد إليه رزم (البنكنوت). ودهش الصراف، وأخذ ينظر إليه، وإلى النقود وإلى الورقة البيضاء الخالية أمامه، ثم سقط على الأرض مصاباً بأزمة قلبية...

ولحسن الحظ فقد نجا الصراف من الأزمة القلبية، ولكن (ميسينج) لم ينج من قبضة ستالين، كان ينتظره امتحان آخر أراد به (ستالين) أن يتأكد شخصياً من قواة الاستثنائية، فأمره أن يدخل عليه في مكتبه بالكرملين بدون الحصول على إذن كتابي خاص شأن كلّ من يدخل هذا المكان كائناً من كان حتى ولو كان من زعماء الحرب والقادة السوفيت.

وفي اليوم المحدد تقدم رجل إلى «قصر الكرملين»، وقطع مساحته، وعند الباب حيّاه الحرس برفع السلاح، وأخذ الرجل يقطع دهاليز الكرملين، ويصعد درجاته أمام أعين الحراس ورجال المخابرات المبثوثين في كل مكان. وهؤلاء كانوا يحيّونه عندما يمرُّ بهم، إلى أن وصل إلى غرفة ياور ستالين، فقام هذا وحيّاه وصحبه إلى غرفة مكتب ستالين، وفتح له الباب وهو ينحني انحناءة كبيرة،

وعندئذ رفع ستالين عينيه عن الأوراق التي أمامه، ونظر إلى الزائر، فإذا به أمام (ميسينج) وجهاً لوجه!

والتفسير الذي أعطاه (ميسينج) فيما بعد أنه أوحى للحراس والمخبرين أنه هو نفسه (بيريا) رئيسهم الذي وضعهم في هذا المكان، ومدير المخابرات السوفيتية الرهيب، وكان هو الوحيد الذي يستطيع الدخول إلى ستالين بدون تصريح وفي أي وقت يشاء[1].

النوع الثاني: من نوعي سحر التخييلات: الأخذ بالعيون[2]

ومبنى هذا النوع على أنَّ القوة الباصرة قد ترى الشيء على خلاف ما هو عليه في الحقيقة لبعض الأسباب العارضة، ولأجل هذا كانت أغلاط البصر كثيرة، ألا ترى أنَّ راكب السفينة إذا نظر إلى الشط رأى السفينة واقفة والشط متحركا، وذلك يدلُّ على أنَّ الساكن يُرى متحركا، والمتحرك ساكنا، والقطرة النازلة ترى خطا مستقيما، والذُّبالة[3] التي تدار بسرعة ترى دائرة، والعنبة ترى في الماء كالإجاصة، والشخص الصغير يرى في الضباب عظيما.

واختصر ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير «سورة البقرة» كلام الرازي المذكور فقال: «ومبناه على أنَّ البصر قد يخطىء ويشتغل بالشيء المعيَّن دون غيره، ألا ترى ذا الشعبذة الحاذق يظهر عمل شيء يذهل أذهان الناظرين به، ويأخذ عيونهم إليه، حتى إذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء بالتحديق ونحوه عمل شيئًا

---

(١) انظر مجلة الدوحة القطرية ص ٥٤ العدد (٩٩) مارس ١٩٨٤ مقال بعنوان: التنويم المغناطيسي والأسرار الخفية في عالم الحرب والسياسة لمحمد العزب موسى.

(٢) قصة السحر والسحرة: ص ٤١

(٣) الفتيلة

آخر عملاً بسرعة شديدة، وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه فيتعجبون منه جداً، ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضدِّ ما يريد أن يعمله، ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه، لفطن الناظرون لكلِّ ما يفعله. قال: وكلما كانت الأحوال تفيد حس البصر نوعاً من أنواع الخلل أشد، كان العمل أحسن مثل أن يجلس المشعبذ في موضع مضيء جدا أو مظلم، فلا تقف القوة الناظرة على أحوالها والحالة هذه»[1].

وقد استظهر ابن كثير أنَّ سحر سحرة فرعون كان من هذا النوع، وقد جاءت النصوص صريحة بأنه كان تخييلا وأخذا بالعيون، قال تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾[2]. فإطلاق التخييل في الآية نصٌّ صريح في ذلك. وقد دلَّ على هذا أيضا قوله: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾[3]. لأنَّ إيقاع السحر على أعين الناس في الآية يدلُّ على أنَّ أعينهم تخيلت غير الحقيقة الواقعة والعلم عند الله.

ولعلَّ من هذا النوع من السحر ما يجيء به الدجال، فقد أخبر الرسول ﷺ أنَّ معه جنة وناراً، وأنَّ الأمر بخلاف ما يراه المرء، فجنته نار وناره جنة.

ففي صحيح مسلم عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: (معه جنة ونار، فناره جنة، وجنته نار)[4].

---

(١) تفسير ابن كثير: ١/٢٥٥

(٢) سورة طه: ٦٦

(٣) سورة الأعراف: ١١٦

(٤) رواه مسلم في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال (٤/٢٢٤٨). ورقم الحديث: ٢٩٣٤

وفي صحيحي البخاري ومسلم عن حذيفة أيضا عن النبي ﷺ قال في الدجال: (إنَّ معه ماءً ونارا، فناره ماء بارد، وماؤه نار) زاد في مسلم (فلا تهلكوا)[1].

وفي رواية عند مسلم في صحيحه عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: (لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان. أحدهما رأي العين ماء أبيض. والآخر رأي العين نار تأجج، فإما أدركن أحد، فليأت الذي يراه نارا وليغمض، ثم ليطأطىء رأسه فيشرب منه، فإنه ماء بارد)[2].

وفي رواية عند مسلم عن حذيفة: (إنَّ الدجال يخرج وإنَّ معه ماءً ونارا، فأما الذي يراه الناس ماءً فنار تحرق، وأما الذي يراه الناس نارا فماءً بارد عذب، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً، فإنه ماءً عذب طيب[3]).

وقد يكون من سحر التخييل ما يفعله السحرة من التفريق بين المرء وزوجه، فإنَّ شيطان الساحر يأتي إلى المرأة الجميلة، ويتشكل بأقنعة صور قبيحة، ويصبح هو قناعا على وجه المرأة الجميلة، فيكرهها الشخص المقصود، ويقول عنها إنها دميمة.

ويأتي للمرأة الدميمة أو العادية، فيتشكّل بصورة قناع جميل، ويتلبس وجهها، فيحبها الشخص ويتزوجها.

يقول الطبري: «تفريقه بين المرء وزوجه تخييله بسحره إلى كلٍّ واحد منهما شَخْصَ الآخر على خلاف ما هو به في حقيقته من حسن وجمال، حتى يُقَبِّحَه

---

(١) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال. فتح الباري: (١٣/٩٠). ورواه مسلم في كتاب الفتن. باب ذكر الدجال: (٤/٢٢٤٩) ورقم الحديث (٢٩٣٤)

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن (٤/٢٢٥٠) ورقمه: ٢٩٣٥

(٣) المصدر السابق. ورقم الحديث: ٢٩٣٦

عنده، فينصرف بوجهه ويعرض عنه، حتى يحدث الرجل لزوجته فراقا، فيكون الساحر مفرقا بينهما بإحداثه السبب الذي كان منه فرقة بينهما»[1].

وقد يكون التفريق بينهما بما يلقيه الشيطان في قلب الإنسان وفكره مما يكره المرء بزوجه.

---

(١) تفسير الطبري: ١/٤٦٣

المبحث الثالث

النوع الثالث: وهو السحر المجازي

المطلب الأول

الفرق بين هذا النوع وبين سحر التخييل

هذا النوع يقوم على حيل علمية، ومعرفة خواص المخلوقات، كما يقوم على خفة اليد والكذب على ضعاف العقول ونحو ذلك. وقد يُظَنُّ أنَّ هذا النوع تابع للنوع الذي قبله وهو سحر التخييلات، وهذا غير صحيح، فالساحر الذي يستخدم حبلا على شكل أفعى يتحرك بواسطة آلة تحركه، أو الذي يحول وجهه من البياض إلى السواد بواسطة دهان يدهن به وجهه، أو الذي يدخل يده في النار فلا تحرقها، لأنه دهنها بدهان مقاوم للنار وحرارتها ـ فعله هذا ليس من باب التخييل، وإنما التخييل كما بيناه من قبل التأثير في القوة المتخيلة عند المسحور، أو سحر بصره حتى ترى الأمور على خلاف ما هي عليه.

ولم أر من تنبه إلى هذا الفرق بين هذين النوعين إلا ابن القيم رحمه الله تعالى، فإنه يرى أنَّ سحر التخييل يتحقق لتغيير حصل في المرئي أو لتغيير حصل في الرائي.

فالذين شاهدوا سحرة فرعون إما أن يكون السحر الذي أصاب عيونهم لتغيير حصل في الحبال والعصي، مثل أن تكون السحرة استغاثت بأرواح حركتها، وهي الشياطين، فظنوا أنها تحركت بأنفسها، وإما أن يكون التغيير حدث في الرائي حتى رأى الحبال والعصي تتحرك، وهي ساكنة في أنفسها.

يقول ابن القيم: «ولا ريب أنَّ الساحر يفعل هذا وهذا، فتارة يتصرف في نفس الرائي وإحساسه، حتى يرى الشيء بخلاف ما هو به، وتارة يتصرف في المرئي باستغاثته بالأرواح الشيطانية حتى يتصرف بها.

ويرفض ابن القيم رفضا قاطعا أنَّ سحر سحرة فرعون كان بحيلة ابتدعوها، كأن يكونوا وضعوا في تلك الحبال والعصي ما أوجب حركتها، كأن يضعوا في جوفها الزئبق، فإنَّ من خاصيته أن يحرك الشيء الذي وضع فيه إذا وضع ذلك الشيء على مكان حار.

يقول ابن القيم: «هذا الذي قاله هؤلاء باطل من وجوه كثيرة، فإنه لو كان كذلك لم يكن هذا تخييلا، بل حركة حقيقية، ولم يكن ذلك سحرا لأعين الناس، ولا يسمى ذلك سحرا، بل صناعة من الصناعات المشتركة، وقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾[1].

ولو كانت تحركت ـ بنوع حيلة ـ كما يقوله المنكرون، لم يكن هذا من السحر في شيء، ومثل هذا لا يخفى.

وأيضا لو كان ذلك بحيلة ـ كما قال هؤلاء ـ لكان طريق إبطالها إخراج ما فيها من الزئبق، وبيان ذلك المحال، ولم يحتج إلى إلقاء العصا لابتلاعها.

وأيضا فمثل هذه الحيلة لا يحتاج فيها إلى الاستعانة بالسحرة، بل يكفي فيها حذق الصناع، ولا يحتاج في ذلك إلى تعظيم فرعون للسحرة، وخضوعه لهم، ووعدهم بالتقريب بالجزاء.

وأيضا فلا يقال في ذلك: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾[2] فإن الصناعات يشترك الناس في تعلمها وتعليمها، وبالجملة فبطلان هذا أظهر من أن

---

(١) سورة طه: ٦٦

(٢) سورة طه: ٧١

يتكلف رده»[1].

المطلب الثاني
نماذج من السحر المجازي

أحبُّ أن يذكر بعض النماذج للسحر المجازي، ومدار هذا النوع من السحر على خفة اليد، والحيل العلمية، والاكتشافات التي يسبق بها الساحر عصره، وتعظم أفعال السحرة في أعين الناس لأنَّهم لا يدرون كيف يعللون ما يشاهدونه، ولكنهم إذا عرفوا السرَّ زال عنهم العجب.

١ ـ سر الطيور التي كانت تحضر الزيتون إلى قبة بيت المقدس:

كان الناس يشاهدون في بيت المقدس أول ليلة من آب في كلِّ عام مئات من الطيور تأتي بحبِّ الزيتون إلى قبة فوق قبر هناك، فتلقي بذلك الحبَّ حتى تمتلىء القبة.

وكانوا يعتقدون أنَّ هذه كرامة لذلك الميت المدفون تحت القبة، والأمر ليس كذلك، وكلُّ ما كان يحدث هو حيلة احتال بها موسيقار مشهور على الطيور لتأتي بحب الزيتون إلى ذلك المكان.

وقد ذكر أبوبكر الرازي هذه القصة والسرَّ الذي يكمن وراءها. وحقيقة الأمر أن موسيقارا مشهورا في ذلك الوقت اسمه (أرجعيانوس) كان من أمره أنه اجتاز بصحراء، فوجد فيها فرخا من فراخ «البراصل»، والبراصل طائر عطوف، وكان يصفر صفيرا حزينا بخلاف سائر البراصل، وكانت البراصل تأتيه بلطائف الزيتون فتطرحها عنده، فيأكل بعضها عند حاجته، ويفضل بعضها عن حاجته.

---

(١) التفسر القيم: ص ٥٧٢

فوقف هذا الموسيقار هناك، وتأمل حال ذلك الفرخ، وعلم أنَّ في صفيره المخالف لصفير البراصيل ضربا من التوجع والاستعطاف حتى رقت له الطيور، وجاءته بما يأكله، فتلطف بعمل آلة تشبه الصفارة إذا استقبل الريح بها أدت ذلك الصفير، ولم يزل يجرب ذلك حتى وثق بها، وجاءته البراصل بالزيتون كما كانت تجيء إلى ذلك الفرخ، لأنها تظن أنَّ هناك فرخا من جنسها، فلما صحَّ له ما أراد أظهر النسك، وعمد إلى هيكل أورشليم، وسأل عن الليلة التي دفن فيها «الأسطرخس» الناسك القيم بعمارة ذلك الهيكل، فأخبر أنه دفن في أول ليلة من آب، فاتخذ صورة من زجاج مجوف على هيئة البرصلة، ونصبها فوق ذلك الهيكل، وجعل فوق تلك الصورة قبة، وأمرهم بفتحها في أول آب، وكان يظهر صوت البرصلة بسبب نفوذ الريح في تلك الصورة، وكانت البراصل تجيء بالزيتون حتى كانت تمتلىء تلك القبة كلَّ يوم من ذلك الزيتون، والناس اعتقدوا أنه من كرامات ذلك المدفون[1].

وقد عدّ ابن كثير من هذا الضرب من السحر حيل النصارى على عامتهم. بما يرونهم إياه من الأنوار كقضية قيامة الكنيسة[2] التي لهم ببلد المقدس، وما يحتالون به من إدخال النار خفية إلى الكنيسة، وإشعال تلك القناديل بصنعة لطيفة تروج على الطغام منهم. وأما الخواص فهم معترفون بذلك، ولكن يتأولون أنهم يجمعون شمل أصحابهم على دينهم، فيرون ذلك سائغا لهم[3].

ومن هذا الضرب ما يحكى أنَّ رجلا في قديم الزمان علم خاصية المغناطيس فتحايل حتى استطاع أن يوقف صنما من حديد في الهواء، وذلك بما

---

(١) قصة السحر: ص ٤٤

(٢) يقصد كنيسة القيامة.

(٣) تفسير ابن كثير: ١/٢٥٦

جعله من قوى الجذب المغناطيسية من حوله، ثم قال لقومه: هذا إلهكم فعبدوه من دون الله.

٢ ــ إبــراء المــرضى

ويذكر الناس عن كثر من الذين يدَّعون الصلاح والتقى أنهم شفوا بعض المرضى الذين عجز الأطباء الكبار عن شفائهم.

ومن ذلك أنَّ الحسين بن منصور الشهير بالحلاج قدم على أهل بلد من بلاد الجبل، فوجد عندهم مريضا أصابه العمى فأذهب بصره، وأصابه الكساح فأقعده عن المشي، فدعا له، ثم تفل عليه من ريقه في كفيه، ثم مسح عينيه فأبصر، ومسح رجليه، فقام من ساعته يمشي، ثم كُشِفَ هذا، فوجد أنه من دجل الحلاج.

وسرُّ الأمر كما ذكره ابن كثير نقلا عن الخطيب البغدادي أنَّ الحلاج بعث رجلا من خاصة أصحابه، وأمره أن يذهب بين يديه إلى بلد من بلاد الجبل، وأن يُظْهِر لهم العبادة والصلاح والزهد، فإذا رآهم قد أقبلوا عليه وأحبوه واعتقدوه أظهر لهم أنه قد عمي، ثمَّ يظهر لهم بعد أيام أنه قد تكسح، فإذا سعوا في مداواته، قال لهم: يا جماعة الخير، إنه لا ينفعني شيء مما تفعلون، ثم يظهر لهم بعد أيام أنه قد رأى رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول له: إن شفاءك لا يكون إلا على يدي القطب، وإنه سيقدم عليك في اليوم الفلاني في الشهر الفلاني، وصفته كذا وكذا. وقال له الحلاج: إني سأقدم عليك في ذلك الوقت.

فذهب ذلك الرجل إلى تلك البلاد فأقام بها يتعبد ويظهر الصلاح والتنسك ويقرأ القرآن. فأقام مدة على ذلك فاعتقدوه وأحبوه، ثم أظهر لهم أنه قد عمي، فمكث حيناً على ذلك، ثم أظهر لهم أنه قد زمن، فسعوا بمداواته

بكلِّ ممكن فلم ينتج فيه شيء. فقال لهم: يا جماعة الخير هذا الذي تفعلونه معي لا ينفعني شيئاً، وأنا قد رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول لي: إن عافيتك وشفاءك إنما هو على يدي القطب، وإنه سيقدم عليك في اليوم الفلاني في الشهر الفلاني، وكانوا أولا يقودونه إلى المسجد ثم صاروا يحملونه ويكرمونه.

فلما كان في الوقت الذي ذكر لهم، واتفق هو والحلاج عليه، أقبل الحلاج حتى دخل البلد مختفيا وعليه ثياب صوف بيض، فدخل المسجد ولزم سارية يتعبد فيه لا يلتفت إلى أحد، فعرفه الناس بالصفات التي وصف لهم ذلك العليل، فابتدروا إليه يسلمون عليه ويتمسحون به، ثم جاؤوا إلى ذلك الزمن المتعافى فأخبروه بخبره، فقال: صفوه لي، فوصفوه له فقال: هذا الذي أخبرني عنه رسول الله ﷺ في المنام، وأن شفائي على يديه، اذهبوا بي إليه. فحملوه حتى وضعوه بين يديه فكلمه فعرفه، فقال: يا عبدالله إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام. ثم ذكر له رؤياه، فرفع الحلاج يديه فدعا له، ثمَّ تفل من ريقه في كفيه، ثم مسح بهما على عينيه ففتحهما كأن لم يكن بهما داء قط، فأبصر، ثمَّ أخذ من ريقه فمسح على رجليه، فقام من ساعته فمشى كأنه لم يكن به شيء والناس حضور، وأمراء تلك البلاد وكبراؤهم عنده، فضجَّ الناس ضجَّة عظيمة، وكبروا الله وسبحوه، وعظموا الحلاج تعظيما زائداً على ما أظهر لهم من الباطل والزور.

ثمَّ أقام عندهم مدة يكرمونه ويعظمونه، ويودون لو طلب منهم ما عساه أن يطلب من أموالهم. فلما أراد الخروج عنهم أرادوا أن يجمعوا له مالا كثيراً فقال: أما أنا فلا حاجة لي بالدنيا، وإنما وصلنا إلى ما وصلنا إليه بترك الدنيا، ولعلَّ صاحبكم هذا أن يكون له إخوان وأصحاب من الأبدال الذين يجاهدون بثغر طرسوس، ويحجُّون ويتصدقون، محتاجين إلى ما يعينهم على ذلك.

فقال ذلك الرجل المتزامن المتعافي: صدق الشيخ، قد ردَّ الله عليَّ بصري، ومنَّ الله عليَّ بالعافية، لأجعلن بقية عمري في الجهاد في سبيل الله، والحج إلى بيت الله مع إخواننا الأبدال والصالحين الذين نعرفهم، ثم حثهم على إعطائه من المال ما طابت به أنفسهم. ثمَّ إنَّ الحلاج خرج عنهم، ومكث ذلك الرجل بين أظهرهم مدة إلى أن جمعوا له مالا كثيراً ألوفا من الذهب والفضة، فلما اجتمع له ما أراد ودعهم وخرج عنهم فذهب إلى الحلاج فاقتسما ذلك المال[1].

ومخاريق الحلاج هذه وأمثالها فتنت الناس ولا تزال تفتنهم في مختلف العصور، وإنما تروج على العوام وضعاف العقول، والذين يَدَّعون السحر يعلمون النوعية الذين يروج سحرهم ودجلهم عندها، خاصة إذا أوهم هؤلاء المشعوذون بسطاء الناس بأنهم أُعْطوا قدرات خاصة، أو أنَّ الجان تطيعهم فيما يأمرون به، وما ينهون عنه، فعند ذلك يستطيعون ممارسة شعوذتهم بيسر وسهولة بعد أن خَدَّرُوا عقول الناس.

وقد سمّى ابن كثير هذا النمط من التدجيل بالتنبلة، وهو- كما يقول ابن كثير- إنما يروج على ضعاف العقول من بني آدم، وفي علم الفراسة ما يرشد إلى معرفة كامل العقل من ناقصه، فإذا كان النبيل حاذقا في علم الفراسة عرف مَنْ ينقاد له من الناس من غيره.

والعوام سريعو التصديق بالأساطير والخرافات والأخبار الكاذبة التي لا يمكن وقوعها[2]، فمن ذلك ما ذكره ابن كثير في تاريخه، فقد ذكر أنه في سنة أربع وثلاثمائة اشتهر في بغداد أنَّ حيوانا يقال له (الزرنب) يطوف بالليل يأكل الأطفال

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ١١/١٣٥

(٢) راجع تفسير ابن كثير: ١/٢٥٧.

من الأسرّة، ويعدو على النيام، فربما قطع يد الرجل وثدي المرأة وهم نيام.

وفعلت هذه الشائعة فعلها في نفوس أهل بغداد، فأحيا الناس ليلهم يضربون على سطوح المنازل على النحاس والحديد، لينفروا هذا الحيوان، فكانت بغداد تتجاوب أرجاؤها شرقا وغربا بتلك الأصوات، واصطنع الناس لأولادهم مكبات من سعف وغيرها. واغتنم اللصوص هذه الشوشة، فكثرت السرقات وضياع الأموال.

ولم يهدأ الناس إلا عندما أمر الخليفة بأخذ حيوان من كلاب الماء وصلبه على الجسر، فلما شاهده الناس مصلوبا سكنوا وهدؤوا لظنهم أنَّ الدولة استطاعت الامساك بذلك الحيوان المزعوم[1].

٣ ـ سر الرجل الذي كان يظهر بدار الخلافة

يذكر الجصاص وأصحاب التواريخ أنه كان يظهر في دار الخلافة في عهد الخليفة المعتضد بالله في الوقت الذي يخلو فيه الخليفة فيها بنسائه وأهله شخص في يده سيف في أوقات مختلفة، وأكثره في وقت الظهر، فإذا طُلِبَ لم يوجد، ولم يقدر عليه، ولم يوقف له على أثر مع كثرة التفتيش، وقد رآه هو بعينه مرارا فأهمته نفسه، ودعا بالمعزمين فحضروا، وأحضروا معهم رجالا ونساء، زعموا أن فيهم مجانين وأصحاء، فأمر بعض رؤسائهم بالعزيمة، فعزم على رجل منهم، زعم أنه كان صحيحا فجن وتخبط، وهو ينظر إليه، وذكروا له أن هذا غاية الحذق بهذه الصناعة إذ أطاعته الجن في تخبيط الصحيح، وإنما كان ذلك من المعزم بمواطأة منه لذلك الصحيح على أنه متى عزم عليه جن نفسه وخبط، فجاز ذلك

---

(١) البداية والنهاية: ١١/١١٦.

على المعتضد، فقامت نفسه منه وكرهه إلا أنه سألهم عن أمر الشخص الذي يظهر في داره فمخرقوا عليه بأشياء علّقوا قلبه بها من غير تحصيل لشيء من أمر ما سألهم عنه. فأمرهم بالانصراف، وأمر لكل واحد منهم ممن حضر بخمسة دراهم.

ثم تحرز المعتضد بغاية ما أمكنه، وأمر بالاستيثاق من سور الدار حيث لا يمكن فيه حيلة من تسلق ونحوه، وبطحت في أعلى السور خواب لئلا يحتال بإلقاء المعاليق التي يحتال بها اللصوص، ثمَّ لم يوقف لذلك الشخص على خبر إلا ظهوره له الوقت بعد الوقت إلى أن توفي المعتضد.

وهذه الخوابي المبطوحة على السور، وقد رأيتها على سور الثريا التي بناها المعتضد، فسألت صديقا لي كان قد حجب للمتقدر بالله عن أمر هذا الشخص، وهل تبين أمره، فذكر لي أنه لم يوقف على حقيقة هذا الأمر إلا في أيام المقتدر، وأنَّ ذلك الشخص كان خادماً أبيض يسمى يقق، وكان يميل إلى بعض الجواري اللاتي في داخل دور الحرم، وكان قد اتخذ لحى على ألوان مختلفة.

وكان إذا لبس بعض تلك اللحى لا يشك من رآه أنها لحيته، وكان يلبس في الوقت الذي يريده لحية منها، ويظهر في ذلك الموضع، وفي يده سيف أو غيره من السلاح حيث يقع نظر المعتضد، فإذا طلب دخل بين الشجر الذي في البستان أو في بعض تلك الممرات أو العطفات، فإذا غاب عن أبصار طالبيه نزع اللحية وجعلها في كمه أو حزته، ويبقى السلاح معه كأنه بعض الخدم الطالبين للشخص، ولا يرتابون به، ويسألونه هل رأيت في هذه الناحية أحدا فإنا قد رأيناه صار إليها فيقول ما رأيت أحدا.

وكان إذا وقع مثل هذا الفزع في الدار خرجت الجواري من داخل الدور إلى هذا الموضع، فيرى هو تلك الجارية، ويخاطبها بما يريد، وإنما كان غرضه

مشاهدة الجارية وكلامها، فلم يزل دأبه إلى أيام المقتدر، ثم خرج إلى البلدان، وصار إلى طرسوس، وأقام بها إلى أن مات، وتحدثت الجارية بعد ذلك بحديثه، ووقف على احتياله.

فهذا خادم قد احتال بمثل هذه الحيلة الخفية التي لم يهتد لها أحد مع شدة عناية المعتضد به، وأعياه معرفتها والوقوف عليها، ولم تكن صناعته الحيل والمخاريق، فما ظنك بمن قد جعل هذا صناعة ومعاشا[1].

٤ ــ حيلة إحياء الموتى:

وبعض الحيل التي تثير عجب الناس حيلة إحياء الموتى، ويعتمد الساحر فيها على استخدام ما توصل إليه العلم في هذا المجال.

فمن ذلك أنَّ المشعوذ يأخذ حمامة مثلا ويلوي رقبتها بيده، حتى يبدو أنها ماتت، ثم يرميها على الناس، فيتألم المشاهدون من هذه القسوة، ثم يطلبها منهم مرة أخرى ليحييها ـ بزعمه ـ فيضعها في ورق، ثم يضرب فوق الورق، فتقوم الحمامة من الموت، وتطير إلى جهة المشاهدين الذين يقفون على شكل حلقة مستديرة.

والسر في هذا أنَّ المشعوذ قبل أن يمسك بالحمامة، كانت يده فيها سائل من مادة البنج، فيمسك بالحمامة ويوهم الناس أنه يلوي رقبتها، وهو في الحقيقة مشتغل بتشميم الحمامة البنج الذي في يده، فتفقد الحمامة شعورها، فيظنُّ الناس أنها قد ماتت خنقا، ويضربها بعد ذلك، فتفيق من البنج فتطير، وإذا عرف السبب بطل العجب كما يقولون.

---

(١) أحكام القرآن للجصاص: ١/٤٧ وانظر البداية والنهاية: ١١/٧٧.

وليس هذا غريبا، فإنَّ الطبيب يجري الكبرى من عمليات الجراحة والمريض يرقد أمامه كالميت من تأثير البنج، ومن رآه قبل إجراء العملية يظنه ميتا[1].

٥ ــ حيلة إشعال الساحر السكر من غير نار

ومن الحيل التي يعتمد فيها الساحر على العلم إتيان المشعوذ بطبق فيه سكر يريه للمشاهدين، ويطلب منهم أن يذوقوا منه حتى يتأكدوا أنه سكر، ثمَّ يشير إلى الطبق بعصا في يده فيشتعل السكر ناراً ويتصاعد منه اللهب[2].

والسر في هذا أنَّ (في الطبق جزئين متساويين من السكر ومن مادة (كلورات البوتاسيوم) (وهي مادة كيماوية بيضاء تشبه السكر). وأما العصا التي استخدمها المشعوذ، فمغموس طرفها في حمض (الكبريتيك) فعندما يشير بهذه العصا وتلمس المخلوط من هذه المادة الكيماوية يَتَّقِدُ الطبق نارا. أما عن إذاقته السكر للمشاهدين فيكون من الجانب الذي فيه السكر من الطبق وذلك بخفة اليد والسرعة والتعمية على المشاهدين.

٦ ــ حيلة إدخال الدخان إلى داخل إناء مغلق.

يقوم المشعوذ بنفخ الدخان إلى داخل كوب مغطاة دون أن يصل إليها المشعوذ.

والسر في هذا أنَّ الساحر يكون قد غسل داخل كوب الزجاج بمادة (روح الملح)، ثم يأتي بطبق يدهن قاعه بسائل (النوشادر)، ويوضع الطبق بوضعه

---

(١) فن الشعوذة الحديثة ـ من مذكرات شرلوك هولمز ـ ص ٩.

(٢) المصدر السابق : ص ١٠.

العادي على كوب الزجاج ويغطي بمنديل، ثم يقف المشعوذ من بعيد، ويشعل سيجارة وينفخ دخانا نحو الكوب المغطاة، ليوهم المشاهدين أنه سيملأ الكوب بالدخان.

والواقع أنه حدث تفاعل كيماوي بين مادتي روح الملح وسائل (النوشادر)، فامتلأ الكوب بالدخان، وهذا أيضا من لطيف ما يفعله المشعوذون.

٧ ــ تغيير المشعوذ وجه إنسان من البياض إلى السواد

والسر الكامن وراء هذه اللعبة أنّ المشعوذ قبل أن يخرج إلى المشاهدين يقوم بدهان وجهه بمادة (أكسيد البزموت) فتعطي هذه المادة للوجه رونقا جميلا ـ وهي مادة تستخدمها بعض السيدات في الزينة، ثم يضع المشعوذ أمام المشاهدين إناء مليئا بالماء الممزوج بمادة (الهيدروجين). ثمّ يدعي أنه يشمّ ذلك الماء. فيتحول وجهه فجأة من البياض إلى السواد، وذلك نتيجة التفاعل الكيماوي بين المادتين اللتين في الوجه وماء الإناء.

٨ ــ السائل والألوان المتعددة

يقوم المشعوذ بطبخ أوراق من الكرنب، ثمّ يأخذ ماءه الذي يكون لونه أصبح أحمر في هذه الحالة، وبعد أن تذهب حرارة الماء تماما يجيء بثلاثة أوان، يضع في أحدها بعض النقط من مادة (الأمونيا). وفي الثانية نقطة من حمض الكبريتيك، ويترك الإناء الثالث فلا يضع فيه شيئا من المواد، ثم يصبُّ في الإناء الأول قليلا من سائل الكرنب فلا يتغير اللون، ثم يصب في الثاني فيصير لونه أخضر ـ وهو في هذا متأثر بمادة الأمونيا، ثم يصب في الثالث فيصير لونه أحمر وكلُّ ذلك نتيجة التفاعل الكيماوي[1].

---

(١) فن الشعوذة، ص ١٣، ١٤.

٩ ــ الشعوذة باستخدام المهارة والتمويه

ومن فنون الشعوذة أيضا المهارة وألعاب التمويهات التي تدرب عليها هؤلاء المشعوذون، ومن ذلك أن يظهر أحدهم أنه ذبح إنسانا أو طعنه بسيف، والعجب أن يرى المشاهدون إسالة الدماء، ثمَّ بعد ذلك يرفسه فيقوم حيا كما كان.

وعند النظر الحقيقي نجد أنه ليس لهذا حقيقة، إذ لو كان كذلك، لما استطاع المذبوح والمطعون أن يحيا، لأنَّ الإحياء والإماتة هي لله تعالى وحده، وعلى وفق إرادته وعلمه.

وعلى الرغم من أنَّ هذه هي عقيدة كلِّ مسلم إلا أنَّ هناك نفوسا ضعيفة من الناس أغلبهم مصاب بالعصبية المزاجية، وتلك قابلة لأدنى الأوهام والانفعالات، فيصدِّقون أنَّ هذا المشعوذ يفعل هذه الأفعال حقيقة، وسنضرب لذلك عدة أمثلة للإحاطة بها.

١ ــ فمن ذلك أنَّ الساحر يأتي بسكين حادة جدا، أو أية آلة حادة يعطيها له أحد المشاهدين، ويمررها على رقبة مساعده، ويذبحه ويسيل دمه ويموت، وبعد عشر دقائق يرفسه برجله فيقوم من الموت.

والواقع أنَّ هذا إيهام، وليس حقيقة، لأنَّه بمعرفة الحقيقة في ذلك يذهب هذا الإيهام.

وكلُّ الذي فعله المشعوذ أنه وضع فقاعة جلدية لونها لون جلد الإنسان الطبيعي، وهي مملوءة بسائل يشبه الدم على رقبة مساعده، ثم يأتي بالسكين ويمررها على هذه الفقاعة، فتنفجر، ويسيل منها اللون الأحمر الذي يشبه الدم، ويتوهم المشاهدون عند ذلك أنه ذبح مساعده.

٢ ــ ومن هذه الحيل نظرية اختراق السيف لجسم الإنسان، حتى ينفذ إلى ظهره، يمسك المشعوذ سيفا طويلا من الصلب ويعرضه على المشاهدين حتى يتأكدوا من أنه سلاح ماض يقتل الشخص، ثم يطعن به أحد مساعديه في بطنه فيخرج من ظهره ملوثا بالدماء، ومع ذلك تجد المطعون حيا لم يمت[1].

وسرُّ هذه الفعلة أنَّ المشعوذ يقوم بإلباس مساعده حزاما ملفوفا إلى نصفه بماسورة معدنية على شكل نصف دائرة مفتوحة، وهذا يكون تحت ملابس المساعد، ثم يأتي المشعوذ ويضع سنّ السيف متجها نحو بطن المساعد، فيخترق الحزام، مارا بالماسورة، ويخرج من نهايتها عند ظهره مع مراعاة أن سبب نزول الدم وجود فقاعة مملوءة بالسائل الذي يشبه الدم، فبمرور السيف يخترقها فتنفجر ويخرج السيف ملوثا بالدماء.

٣ ــ ومن هذه الحيل أنَّ الساحر يأمر الساعة بالوقوف عن الدوران فتقف.

ففي صالة العرض يأمر الساحر جميع المشاهدين بإخراج ساعاتهم، ثمَّ يمدُّ يده إلى أية ساعة منها دون أنْ يلمسها، ويأمرها بالوقوف عن الدَّوَرَان فتتوقف، وهكذا يعمل مع بقية الساعات.

والسر في هذا أن المشعوذ قد اشتمل على نوع قوي من أنواع المغناطيس الصغير، ووضعه على ذراعه تحت جلبابه أو قميصه بحيث لا يراه المشاهدون، فعندما يقترب من أي الساعات تتوقف عن الدوران في الحال، والواقع أنه تمويه سببه الجاذبية المغناطيسية، وليس المشعوذ.

وهناك أفعال يقوم بها المشعوذون يوهمون بها الناس كاستخدام بعض المواد كمادة الفوسفور، وهي مادة صلبة شمعية اللون تلتهب بمجرد ملامستها الهواء،

---

(١) فن الشعوذة ص ٢٧، ٢٨.

وكمادة زيت الزيتون، فيخلطون بعض أجزاء المادتين على بعض، ثم يدهنون بها جلابيب بيضاء، ويضعونها في غرفة مظلمة، فترى أوجها منيرة تخرج أشعة، والسحر الذي يعتمد على الصناعة والحيل وخفة الحركة في هذه الأيام كثير، يشاهده الناس في كلِّ مكان، وقد زار الكويت كثير من السحرة الذين يتعاطون هذا النوع من السحر، وأحد هؤلاء السحرة من بنغلادش اسمه «جويل ايش» يعمل في بلاده مديرا «لمعهد بنغلادش لتعليم فنون السحر» والذي أصبح اسمه بعد ذلك «مركز بنغلادش لأبحاث السحر».

وفي أحد عروضه على «مسرح اتحاد العمال، قام بعدة ألعاب منها أنَّ عددا من المتفرجين ربطوا يديه خلف ظهره، ثم وضعوه في كيس، ثم وضعوا الكيس في صندوق، وأغلق بإحكام، ووضع فوق الصندوق كيس آخر، وفي أقل من دقيقة واحدة خرج الساحر للجمهور، ولم يكتف بذلك، بل رجع للكيس والصندوق، وفي أقل من دقيقة ظهر للجمهور مربوطا كما كان».

وفي لعبة أخرى يضع فتاة في صندوق بمقدار طولها. ثم يبدأ بتقطيعها إلى ثلاث قطع بواسطة سكين عريضة. وفي لعبة أخرى يضع حمامتين في صندوق فارغ، وبعد ذلك يفتح الصندوق، ولكن تختفي الحمامتان منه. وفي لعبة ثالثة يرفع قطعة قماش أسطوانية بعد أن يضع فتاة داخلها، ثم ينزل هذه القطعة فتختفي الفتاة ثم يرفعها، وينزلها فتظهر الفتاة هذه المرة بملابس جديدة!.

وقام بعض المتفرجين بربط عينيه جيدا، وأخذ قسم منهم بكتابة عبارات على السبورة. وكان يكتب مثلها، حتى إن أحد المتفرجين قام من المسرح وحاول خداع الساحر ولم يكتب شيئا، بل حرك أصبعه فقط. والغريب أنَّ الساحر قام بحركة المتفرج نفسها.

وقد زار هذا الساحر جريدة القبس، وقدَّم أحد عروضه في صالة المحررين بجريدة القبس، وأجرت معه الجريدة مقابلة نشرت بتاريخ ١٢/١/١٩٨٤.

١٠ ــ استعمال خواص الأدوية والأطعمة والملابس

وبعض السحرة والذين يدَّعون القدرة على فعل الأمور الخارقة يستخدمون خواص المواد التي خلقها الله مما عرفوا خواصه، ولم يعلمه بقية الناس.

فمن ذلك دخول بعض هؤلاء في النار، حيث يدهنون جلودهم بمواد لها خاصية مقاومة النار، ويلبسون ثيابا لا تحرقها النيران.

وقد يجعلون في طعام من يزعمون أنهم سحروهم أو آذوهم بطريق السحر بعض الأدوية أو الأشربة أو الأطعمة التي تغير مزاج الإنسان، وقد تبلد عقله وتمرض جسده، فمثلا إذا أكل الإنسان دماغ حمار تبلد عقله، وقلت فطنته.

وقد سمّى القرافي هذا النوع «بالسيمياء، وهو عبارة عما يركب من خواص أرضية كدهن خاص، أو مائعات خاصة توجب تخيلات خاصة، وإدراك الحواس الخمس أو بعضا لحقائق خاصة من المأكولات والمشمومات والمبصرات والملموسات والمسموعات، وقد يكون لذلك وجود حقيقي يخلق الله تلك الأعيان عند تلك المحاولات، وقد لا تكون له حقيقة، وقد يستولي على الأوهام حتى يتخيل الوهم مُضِيَّ السنين المتطاولة في الزمن اليسير، وتكرر الفصول، وتخيل السن، وحدوث الأولاد، وانقضاء الأعمار في الوقت المتقارب من الساعة ونحوها ويسلب الفكر الصحيح بالكلية، ويصير أحوال الإنسان مع تلك المحاولات كحالات النائم من غير فرق، ويختص ذلك كله بمن عمل له، ومن لم يعمل له لا يجد شيئا من ذلك»[1]

---

(١) الفروق للقرافي: ١٣٧/٤

وأدخل فيه بعض أهل العلم بعض خواص ما لم يعلم سببه، ومن ذلك أنَّ السحرة يزعمون أنك إذا رميت بعض الكلاب بسبعة أحجار وعضَّ كلٌّ واحد منها، ثم أخذتها وطرحتها في إناء فإنَّ من يشرب منه تظهر عليه آثار عجيبة خاصة[1].

ويأبى الباحثون في هذا العلم أن يدخلوا في هذا النوع خواص الحقائق المختصة بانفعالات الأمزجة صحة أو سقما، نحو الأدوية والأغذية من الجماد والنبات والحيوان المسطورة في كتب الأطباء والعشابين والطبائعيين، فإنَّ هذا داخل في علم الطب لا في السحر، ويزعم بعضهم أنَّ الذي يدخل في السحر ويختصُّ به هو الذي يتسلط على النفوس لا على الأبدان[2].

وإنما تُسَمَّى سحرا إذا استخدمت من قبل من يدعي السحر، إذا كان الناس لا يعلمون سبب ما يفعله الساحر ويقوم به. أمّا إذا انكشف السر وظهر فلا يكون سحرا.

١١ ـ السعي بالنميمة والتضريب[3] من وجوه خفية

ومن السحر المجازي ـ كما نصَّ عليه أبو بكر الرازي وابن كثير وغيرهما ـ السعي بالنميمة وإفساد العلاقة بين العباد، وهذا النوع كما يقول العلماء شائع بين الناس، وقد ذكر هذا النوع الجصَّاص فقال: «وضرب آخر من السحر، وهو السعي بالنميمة والوشاية بها، والبلاغات والإفساد والتضريب من وجوه خفية لطيفة، وذلك عام شائع في كثير من الناس.

---

(١) الفروق: ٤/١٣٨

(٢) الفروق: ٤/١٣٨

(٣) تضرب الشيء تحرك وماج . وضرب بينهم أوقع وأفسد

وقد حكى أنَّ امرأة أرادت إفساد ما بين زوجين، فصارت إلى الزوجة، فقالت لها: إن زوجك مُعْرِض، وقد سحر، وهو مأخوذ عنك، وسأسحره لك حتى لا يريد غيرك، ولا ينظر إلى سواك، ولكن لابدَّ أن تأخذي من شعر حَلْقِه بالموس ثلاث شعرات إذا نام وتعطينيها، فإنَّ بها يتم الأمر، فاغترت بقولها وصَدَّقتها.

ثم ذهبت إلى الرجل وقالت له: إنَّ امرأتك قد علقت رجلا، وقد عزمت على قتلك، وقد وَقَفْتُ على ذلك من أمرها، فأشفقت عليك، ولزمني نصحك، فتيقظ، ولا تغتر، فإنها عزمت على ذلك بالموس، وستعرف ذلك منها، فما في أمرها شك.

فتناوم الرجل في بيته، فلما ظنت المرأة أنه قد نام عمدت إلى موس حاد، وهوت به لتحلق من حلقه ثلاث شعرت، ففتح الرجل عينيه فرآها وقد أهوت بالموس إلى حلقه، فلم يشكَّ في أنها أرادت قتله، فقام إليها فقتلها وقتل[1].

ويقول الشيخ محمد عبده في تفسير سورة الفلق: «والنميمة تشبه أن تكون ضربا من السحر، لأنها تحول ما بين الصديقين من محبة إلى عداوة، بوسيلة خفية كاذبة.

والنميمة تُضَلِّل وجدان الصديقين كما يضلل الليل من يسير فيه بظلمته، ولا يسهل على أحد أن يحتاط للتحفظ من النمام، فإنه يذكر عنك ما يذكر لصاحبك، وأنت لا تعلم ماذا يقول، ولا ما يمكن أن يقول.

وإذا جاءك فربما دخل عليك بما يشبه الصدق، حتى لا يكاد يمكن تكذيبه، فلابدَّ لك من قوة أعظم من قوتك تستعين بها، وهي قوة الله»[1].

---

(١) أحكام القرآن للجصاص: ٤٨/١

وقال صديق حسن خان: «قال أبو الخطاب في (عيون المسائل): ومن السحر السعي بالنميمة والإفساد بين الناس.

قال في (الفروع): وَوُجِّه أنه يقصد الأذى في كلامه وفي عمله، على وجه المكر والحيلة فأشبه السحر، وهذا يعرف بالعرف والعادة أنَّه يؤثر وينتج ما يعمله السحر أو أكثر، فَيُعْطَى حكمه، تسوية بين المتماثلين أو المتقاربين.

لكن يقال: الساحر إنما يكفر بوصف السحر، وهو أمر خاص، ودليله خاص، وهذا ليس بسحر، وإنما يؤثر عمله ما يؤثره، فيعطي حكمه إلا فيما اختص به من الكفر، وعدم قبول التوبة[1].

وقد سمى الرسول ﷺ النميمة بالعَضْة، ففي صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود قال: «إنَّ محمدا ﷺ قال: (ألا أنبئكم ما العَضْهُ؟ هي النميمة القالة بين الناس)[2].

قال النووي: رووا لفظة العضة على وجهين: أحدهما العضة على وزن العِدة. والثاني: العَضْه بفتح العين وإسكان الضاد على وزن الوجه، وتقدير الحديث: ألا أنبئكم ما العضة؟ الفاحش الغليظ التحريم[3].

والعضة: هي البهت، وأطلق على النميمة اسم العضة لأنها لاتنفك عن الكذب والبهتان غالبا.

---

(١) الدين الخالص: ٣٣١/٢

(٢) صحيح مسلم: ٢٠١٢/٤ ورقم الحديث: ٢٦٠٦

(٣) شرح النووي على مسلم: ١٥٩/١٦